

إيقاع المكان في رواية "العشق المقدنس" لعز الدين جلاوي

Rhythm place in the novel "Holy Love" by the novelist Ezz El-Din Djelaoudji

جنيدي سليمة¹

جامعة قاصدي مرباح / ورقلة، الجزائر

salima_djenidi@yahoo.com

أ.د عبد الحميد هيمة

جامعة قاصدي مرباح / ورقلة، الجزائر

hima8075@gmail.com

تاريخ الوصول 2022/07/18 القبول 2022/10/20 النشر على الخط 2022/11/05

Received 18/07/2022 Accepted 20/10/2022 Published online 05/11/2022

ملخص:

إن المكان في رواية "العشق المقدنس" للروائي عز الدين جلاوي ، يجسد دورا كبيرا في خلق بناء جديد للإيقاع بمختلف أنواعه وتفصيله، إذ تمثل في خلق تقنيات فنية إبداعية جديدة عن عالم السرد، كالتقابل والتعدد والتكثيف والاختلاف والتحول، وحتى الزمان والأحداث تم بهما نسج المكان متجاوزا الوصف العادي الممل إلى التجسيد والتكثيف مما أثر في عالم الشخصيات الرئيسية للرواية وحتى الثانوية.

وقد تم التعبير عن رؤية جديدة في عالم الرواية من خلال الحركة المنتظمة للشخصيات، لاسيما شخصية البطل وحببته هبة، اللذان اعتمدا فكرة الترحال بين الأمكنة للكشف عن حقيقة الواقع المزيف بين انغلاق و انفتاح، معتمدا في ذلك على تقنية الحركة والوصف الدقيق والتكرار الفني المقصود بهدف خلق تقنية فنية حديثة يمكن أن نطلق عليها بـ "إيقاع المكان في الرواية".

الكلمات المفتاحية : الإيقاع، التكثيف، المكان، التقابل، إنغلاق، انفتاح، التعدد .

Abstract:

The place in the novel "Holy Love" by the novelist Ezz El-Din Djelaoudji, embodies a major role in creating a new construction of rhythm with its various types and details, as it represented in creating new creative artistic techniques about the world of narration, such as contrast, multiplicity, condensation, difference and transformation, and even time and events were woven into the place. Transcending the ordinary, boring description to embodiment and condensation, which affected the world of the main characters of the novel and even minor ones.

A new vision was expressed in the world of the novel through the regular movement of the characters, especially the character of the hero and his lover Heba, who adopted the idea of traveling between places to reveal the truth of the false reality between closure and openness, relying on the technique of movement and accurate description and artistic repetition intended to create A modern artistic technique that we can call the "rhythm of the place in the novel.

Key words: Rhythm; Condensation; Place; Contrasting; Introversion; Openness; Diversity.

1. مقدمة:

تكشف المدونة الجزائرية المعاصرة في القرن العشرين عن الأهرامات الأولى لنوع روائي جزائري جديد، وبعد منتصف هذا القرن كانت ثمره مخاض اختصت بالمرويات السردية، انطلاقاً من الصراع الذي كان سائداً في الجزائر، بداية من العقد الأول من مرحلة الاستقلال ولاسيما بما يتعلق بالثروات الثلاث الزراعية والصناعية والثقافية، وصولاً إلى مرحلة جديدة ونص جديد، حيث ارتبط ظهور هذا النوع الجديد باللحظة الرمزية التي انفصلت فيها العوامل التخيلية وأساليب السرد، شائعاً في المولود السردى من قبل هذه المرحلة الجديدة، حيث اتخذت هذه الأخيرة منحى جديداً في اختيار الموضوعات ومعالجتها وذلك بالرغم من التقارب الذي ما يزال ملحوظاً في المرحلتين السابقتين.

لكن الاختلافات النوعية بدأت تكشف عن نفسها من خلال ما جاءت به الروايات الجزائرية المعاصرة سواء من حيث الشكل الخارجي "الهندسي" أو من حيث البناء الفني اللغوي للرواية، مثل بروز قضايا جديدة كالتناسخ وتوظيف التراث كميزة حديثة يستند إليها الروائي الجزائري المعاصر من أجل خلق الجدة في أعماله، بالإضافة إلى قضايا أخرى كاستعمال الأسطورة يستعان بها كذلك في ترجمة التجارب الواقعية وغيرها من القضايا الجديدة التي أسهمت بشكل أو بآخر في تطوير المدونة السردية الجزائرية المعاصرة.

ومما لا شك فيه أن توظيف هذه المواضيع أو القضايا الجديدة يتطلب قالب لغوي جديد الطرح ومغاير عما سبقه من التقرير العادي، والسرد البسيط والمباشر خاصة إذا جاءت هذه القضايا تتعلق بسرد حقائق تاريخية أو سياسية - حيث أصبحت اللغة - المنفذ أو الملكة التي من خلالها يترجمون أفكارهم والتعبير عنها، وفي الوقت ذاته يصبونها في قالب جمالي سعياً لإيصالها للمتلقي، إذا ساعدت هذه الملكة "اللغة" الكتاب الجزائريين المعاصرين في غاياتهم. ومن بين الذين خاضوا هذا المجال نخص بالذكر الروائي الجزائري المعاصر "عز الدين جلاوي"، في مختلف مدوناته، والذي مزج بين اللامسة الواقعية المباشرة ولغة الترميز والإيحاء وربما هذا ما يعود إلى من يعالج فتره تاريخيه معينه حقبه العشرية السوداء في الجزائر.

وإذا أردنا أن نطرح تجربة الروائي بخصوص بعض الروايات، وبشكل سريع نجد معظمها تدور حول الواقع الراهن الذي تعيشه الجزائر، خاصة ما شهدته أثناء فترة العشرية السوداء من فساد وتحلل...

إذ صنفناها كقضية بارزة وهامة، حيث أصبح في معظم مدوناته شبيهة بالمؤلف الذي يصور حالة وجدانية و مرحلة تاريخية معينة، إذ تميزت مرحلة التسعينات في أعماله باستخدام بعض الرموز ولا نقول الرمز كله، فقد اختص بالتنوع في كتاباته، حيث تراوحت بين الرمز والواقعية، وصولاً إلى المستوى الجمالي والبلاغي البعيد كل البعد عن أساليب الترميز أو المراوغة أو المبالغة. وقد ضمنها تموجات حركية منسجمة ومتناغمة أمكنها أن تظهر في شكل جمالي معتمداً في ذلك على تقنية الوصف والتحليل لمختلف العناصر السردية التي يستعملها في رواياته من "زمان ومكان وشخصيات وأحداث"، مما منحها وقعا مميزا وحيوية دائمة التواكب والحركة بشكل منظم ومنسجم ومتزن، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه "بإيقاع الروائي"، إذ أصبح استعماله ضرورياً في مختلف مدوناته، ولذلك كانت فعالية الخطاب محققة خاصة وأن رؤية عز الدين جلاوي تلمس الكثير من الجرأة والعمق فكانت كمقدمات للحقبة الدموية بالعشرية السوداء التي عاشتها الجزائر أثناء التسعينات.

إن الروائي "عز الدين جلاوجي" يعتبر من بين الروائيين الأكثر اهتماما بموضوع "الإيقاع" حيث اعتبره تقنية إجرائية ومفروضة وواجبة الطرح في مختلف مدونات، فوقع اختيارنا على إحدى رواياته "العشق المقدس"، كنموذج ظهرت فيه هذه التقنية بشكل واضح ونخص بالذكر إيقاع الأمكنة أو المكان ومدى وقعها في عالم الشخصيات وباقي العناصر السردية للرواية. حيث تضمنت الدراسة خطة محكمة أدرجنا فيها حركة الشخصيات بين الأمكنة، والدور الذي يلعبه هذا الأخير فيها. من خلال تطور الأحداث عبر الزمن الحاضر والماضي ليحدثا وقعا إبداعيا خاصا لعالم الرواية. معتمدين في هذا على المنهج الوصفي التحليلي وكذا المنهج السيميائي ليتكاملا بين الوصف لعالم الشخصية والمكان بهدف الوصف الجمالي الفني للرواية. أن تحتوي مقدمة المقال على تمهيد مناسب للموضوع، ثم طرح لإشكالية البحث بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

2. إيقاع المكان

يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة، ليس لكونه أحد عناصرها الفنية أو الحيز الجغرافي أو الموقعي الذي تجري فيه الأحداث وتتحرك فيه الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوي كل العناصر الروائية، بما فيها من حوادث وشخصيات وما بينهما من علاقات، إذ تمنحها المناخ الذي تقع فيه وتعبر عن وجهه نظرها ويكون هو نفسه المساعد على تطوير بناء الرواية، والحامل لرؤية البطل والممثل للمؤلف أيضا.

وبهذه الحالة، لا يكون المكان كقطعة قماش بالنسبة للوحة، بل يكون الفضاء الذي تصنعه اللوحة. وهذا ما عبر عنه "غالب هلسا" في تعريفه لمصطلح المكان وأهميته إذ يقول في هذا الشأن: "هو المساحة التي تحدث فيها الأحداث وتنفصل بواسطتها الشخصيات بعضها عن بعض، وهي تفصل القارئ عن عالم الرواية فتقلبه من مكان لآخر يتعرف عن أماكن شتى، عند قراءه رواية "تولستوي"، نتعرف على أنحاء روسيا..."

و على هذا الأساس، يصبح المكان الروائي مكتسبا أبعادا ديناميكية وحيوية، فلا يصبح مجرد عنصر ثابت معزول عن باقي العناصر السردية، بل يكون مؤثرا و متأثرا بها. " فالمكان هو الذي يلد الأحداث قبل أن تلده فيعطينا تصورا لها وللأشخاص وللزمان والمكان والحركة تشكل وحدة لا تنقسم. أمام هذه المقولة نستنتج تقنية فنية حديثة عن العالمي السردية وهي تقنية الإيقاع، أي الوقع الذي يحدثه عنصر المكان في باقي العناصر السردية الأخرى".

1.2 . مفهوم الإيقاع :

الإيقاع أو "rythme"، مصطلح ينتمي إلى الفنون الموسيقية الجميلة، وحين يسعى الباحث إلى الوقوف على معاني هذه الكلمة وإيحائها فسوف يجدها كثيرا ما تتردد في الكتب التي تبحث في الموسيقى وقضاياها. "وقد استعادت دراسة الفنون النثرية الرواية مفهوم الإيقاع كظاهرة موجودة، ليمثل ركيزة أساسية في تحليل المحتوى المضموني والشكلي".

أما علم الموسيقى نفسه على تعدد فروعه، فقد استعار مفهوم الإيقاع وغيره من المفاهيم والمصطلحات من طبائع الظواهر الكونية، كوعي الإنسان المتنامي بفكرة الزمن ونظامه، فضلا عن اكتشاف الإنسان المتواتر لجلال الصوت البشري والشفاهي، وجماليات أصوات الكائنات الحية ولالإيقاعات الصادرة عن المواد الجامدة، وعن الأدوات التي يستخدمها الإنسان في عمله

ومعيشته، بل إن جهازنا الجسمي نفسه يعدّ ذا طابع إيقاعي، فنحن مخلوقات نتصف أجهزتنا بكونها إيقاعية منظمة في عملها، "كما أن حياتنا الوجدانية كلها ذات طابع إيقاعي، حتى أفكارنا تردّ على أذهاننا في صور مدّ و جزر إيقاعين".

إن ظاهرة الإيقاع لا تقتصر فحسب على منظومة الرموز الصوتية اللغوية للأنواع الأدبية، والتي تمثل أساساً في معمارها وشكلها، وإنما تنسحب كذلك على مختلف الفنون غير اللغوية، بل أيضاً على الظواهر الحياتية التي تتجلى عادة في مضامينها الإيقاعية الخاصة.

وهذا الزمن يعود إلى غموض فكرة الإيقاع بالنسبة إليها، أو بالأحرى إلينا، ونحن نمارس قراءتها أو تحليلها بصريا أو مقارنتها بأية وسيلة. ولكن جوهرياً، ثمة إيقاعات ذات شأن خاص للعمل: الألوان، العمارة، تخطيط المدن، الرقص، الإشارات الضوئية، العادات والتقاليد، الأحاسيس... وينشق هذا التصور مع الدلالة العامة بكلمة الإيقاع المشتقة أصلاً من اليونانية.

والإيقاع هو "الجريان والتدفق" والمقصود به التواتر المتتابع أو المتراوح بين المستويات حالي الصمت والصوت، أو النور والظلام أو الحركة والسكون أو القوة والضعف أو القسوة واللين أو القصر والطول والإسراع والإبطاء أو التواتر والسكينة أو "الانغلاق والانفراج".

و من ثم فالإيقاع خاصية جوهرية في الحياة بمظاهرها المختلفة فليس ثمة ظاهرة دون نظام زمني لدورة حياتنا، ونظام جمالي وقيمي وجودها ومثولها وذلك النظام الذي يمنح الظاهرة كينونتها أي موسيقاها الخفية وإيقاع روحها.

2.2 الإيقاع في الرواية :

و إذا حصرنا مفهوم الإيقاع في الرواية، نجد هذه الأخيرة في بنائها اللغوي، يقوم على أساس التحوار الدلالي بين شتى صور عناصر التعبير لعناصر السرد، وهي الزمن والمكان والشخصية و السرد وحتى اللغة. إذ أصبح بهذا كل استعمال له خصائصه، ونظراً لأن الخطاب الروائي الأدبي لا يمكنه الانسلاخ عن لغته الأدبية الروائية، فإن من الرواة من يسيطر عليه إمكانية الانسلاخ عن لغته الأدبية الروائية، حيث نجد بعضاً من الرواة من تسيطر عليه إمكانات الإيقاع في أعمالهم، وكذا من حيث خصائصه وحتى ارتباطاته داخل خطابهم الروائي الكامنة في المعنى الدلالي واللغوي للجمل لغوية فنجد الإيقاع يوقعها في ذاته بنى ومضمونها وذلك وفق تابعات محكمة تهدف إلى مؤيد دلالي معين، تتجاوز حدود النظرة الرومانسية لإيقاع النثر، والتي انحازت فيها لأنها الشعر باعتبار الإيقاع أصلاً في الشعر، وفرعاً ثانوياً في النثر : "إننا ننظر إلى موضوع الإيقاع إلا أنه بصورة مختلفة بعدما حققته الأنواع الأدبية من تداخل خلاق بين خصائصها، وتعد الرواية أكثر هذه الأنواع مراوغة وتمرداً على التقنين والتثبيت حيث تتمتع بحرية الامتزاج بينها من الفنون والأنواع الأدبية بإيقاع الحياة اليومية".

وبهذا يمكننا القول أن الإيقاع الروائي هو نظام يعتمد ترتيب أحداث الرواية وفق تشكيلات عناصرها السردية وكذا يمكن اعتبار الأداة المسؤولة على تنظيم هذه العناصر وكذا المحافظة على جانبها الفني وذلك من خلال عدة شروط يمكن حصرها كالتالي :

1. لا بد أن تتوفر بنية النص السرد على حركة ديناميكية بين مختلف عناصرها.
2. أن تعتمد الرواية في بنائها على عنصر الزمن، كعنصر بارز ومعني ومولد للإيقاع وذلك من خلال مراعاة المرونة الزمنية للإيقاع من خلال مظاهر التسريع التباطؤ لحركة عناصر السرد القابلة للتنويع لمدى استمرارية أو ديمومة مع حدث.

3. كذلك تجب مراعاة ما يسمى "فترات الصمت الميتة" على مستوى العمل الروائي أي "الوقفة الوصفية" : وصف مشهد أو صورة أو زمن الغائي المستغرق و الذي يستخدم لغاية الوصف والاستشهاد .
4. كما تجب مراعاة اللغة الأنيقة والسلسلة المبنية على أساس الانزياحات اللغوية والجمالية لكي تخص بنية النص على إيقاع نوعي ومميز.
5. كذلك ندخل اعتبارات التشكيل الفني والمعماري العناصر العمل الفني ومدى انساجمها أو توأمتها في تشكيل إيقاع مميز.
6. لابد أن تحقق للأدب أدبية مهما كان هذا النوع الأدبي وهذا ما عبر عنه "ميوشك" في قوله : "الإيقاع هو الذي يحقق للأدب أدبية سواء كان شعرا أو نثرا، بل يرفض هذه الثنائية نفسها من الأساس تاريخيا ودلاليا، فالإيقاع يتضمن الشفافية وينفي الحيادية المزعومة للغة فاللغة الأدبية لا يمكن أن تنقلص إلى هياكل ورسوم منطوقة أو مكتوبة"
- ومن خلال هذه النقاط التي يمكن أن نعتبرها نقاطا أساسية يجب مراعاتها في العمل الأدبي وخاصة العمل الروائي، نحاول أن نستثمر دلالة الإيقاع الروائي انطلاقا من الخلفيات التي انطلق منها النقاد والتي تتمثل في مصطلح "الإيقاع الروائي" مرتبط أساسا بفن الرسم المسرح والشعر، والعمارة... الخ فاتخذوه منطلقا يعتمدوه في الدراسات المتخصصة في العمل النثري "فن الرواية" وهذا ما عبر عنه "البيرين ALBEHES" إذ يرى "الإيقاع هو الفن" بمعنى أن الفن يعتمد في شكله وتعامله الفني محكم البناء منسجم الشكل والمضمون .
- كما يشكل الإيقاع في الرواية رصد للعالمين >>الخارجي المرئي الظاهر لشخصية والحدث والمكان...والداخلي الخفي الجواني لشخصية نفسها الحدث نفسه...الخ، حركة العالم الخارجي تلتقي تنفصل تتداخل مع حركة العالم الداخلي للشخصيات تشكل إيقاعا معيناً وعلاقة معينة ما بين داخل الشخصية وخارجها، وهذا ما عبر عنه "بولسلافكي"، في قوله : "لتكن معانيك وإيقاع كلامك صدًى لعالمك الداخلي"، هذا التعبير في العالم الداخلي لشخصية يكون سببه التغيرات التي يحدث في العالم الخارجي ليؤثر مرة ثانية في عالمها الداخلي وبذلك يصبح الإيقاع في الرواية يجسد تلك العلاقات القائمة بين الوسط أو المحيط الذي يعيشه الشخصية ومدى وقعها على نفس الشخصية، أو أثره فيها .
- فيدخل هنا عنصر المكان الذي يعتبر أيضا من بين العناصر الأساسية في تجسيد لإيقاع الروائي مع بقية العناصر السردية الأخرى فما حدث في هذه الأمكنة من تغيرات وانقلابات تضرب بصدها على الشخصية في الرواية فيستمد ذلك خط المد والجزر في نسج ذلك الإيقاع المتواتر والمتبادل بين العنصرين .
- وبهذا يصبح الإيقاع في الرواية عنصر فعالا في الكشف عن عمق لعلاقات المتبادلة بين الناس والأشياء...كيف تشكل وتبنى وتنسى ثم تتغير وفقها وبها ؟ بحيث توضح وترسم الوضع لإنساني وجوده، وكيف تغير هذا الوجود بتغير حاضره أو ماضيه ظهوره أو أحداث منبئة عن مستقبله. كما يعمل على الكشف عن الأشياء الجامدة أو الثابتة كالقدر، الحياة، الموت ومدى استجابة الإنسان لها من خلال المظهر، النظام، فيقبل، أو يرفض...أو يتغير ويغير ..
- كما يحدد الأحداث كيف حدثت ويبرر تسلسلها ومنطقها التي شكلت به الرواية من خلال انتظامه في الظهور والغياب الانكسار والبناء بناء الحدث أو انكسار يشكل في الرواية إيقاعات وتشكلات تطفئ بأثرها على عالم الشخصيات الجواني

الباطني، يتجسد بعدها هذا التغير في عالمها الخارجي إذن الإيقاع الروائي إذ يعني بشكل رئيسي بأحداث من حيث وقوعها وتشكلها وتنظيمها في نسق معين ينسجم مع بناء الرواية الكلية ويبلور عالمها ومغزاها ومضمونها كما يعني بالشخصيات من حيث لا يكون وقوعها إلا في مكان لها زمن تتأثر به وتؤثر به مسبقا .

والإيقاع الروائي يختلف من رواية إلى أخرى، على شرط أن تبقى هذه الأخيرة متماسكة مع العنصر الغالب من عناصرها، بحيث يمكن فصل أي عنصر من عناصر الرواية أثناء تشكيلها وبنائها، هو "إيقاع المكان" بحيث يمثل الإيقاع مقياسا لتحليل المكان من حيث الوصف تكرار انتظامه ووقعه أو انتظام تكراره كذلك الأمر في تعميق بحث العلاقة العضوية بين المكان بمستوياته وأنواعه المختلفة في الرواية.

حيث يضطلع التشكيل مكانا في الرواية بتحقيق التنوعات الإيقاعية المشاركة لعناصر الروائية والتي يدخل الزمن وأساسا في تحقيقها أي أننا لا نتصور مكانا بلا العناصر الروائية التي يدخل الزمن في تحقيقها إذ لا نتصور قصا بدون ترمين أي أننا لا نتصور مكانا لا زمان أو حدثا لا زمن أو شخصية دون عالم ومحيط زمينيين. وبديهي أن نقول أن المكان يمثل عنصر مميز للنصوص الحكائية والقصصية عموما بدء من الحكاية والسير الشعبية، التي جسد البيئة والتي من خلالها نكتشف زمنها وحتى شخصياتها انتهاء بامتدادهما القصصي التقليدي والحديث. لكن العلاقة التاريخية بين المكان والرواية، أخذت أطوار جديدة مع الأعمال الروائية المعاصرة والتي بشر بها جيل الستينات

حيث صاغت روايته أنظمة مكانية تتجاوز إيقاع التقسيم المكاني المنطقي والعادي في الرواية. وذلك ليس من أجل التجديد الشكلي حصرا، وإنما من حيث تجسيد وجهة نظر روائية من خلال معطيات واقعية معاشة ولاسيما فترة تاريخية، عاشها الدول الإسلامية وبالتحديد الدولة الرستمية في مدينة تيهرت تحديدا، والتي تجسدت في رواية العشق المقدنس للروائي عز الدين جلاوجي، إذ صور من خلالها إيقاعا لمشهد تاريخي يحاول من خلاله التماسه وفي الوقت ذاته تجاوز بمعنى حاول اكتساب توترات الواقع وتحولا القيم بالإضافة إلى تجسيد معضلة الإنسان المتطرفين والمعارضين من الأحزاب المختلفة في البحث عن المعاني التمرد والتحرر من قيده وعن زمان مكان صلبين بإيقاع يسألهم من مفردات ومعاني تدفعه إلى مواجهة التحولات الفرقة والراهنة (حروب وأحزاب متطرفة) و استبدال عالم الفتن و الخوف والجهود بعالم البحث عن الحلول والسلم والأمن من جديد وذلك بتعظيم قدرة الدولة الرستمية التي تمثل العالم الإسلامي علي المواجهة لهذه الحروب والتماسك في عالم يقع تحت ضغوط الطوائف والأحزاب المتفرقة والعالم الدخيل على الانفتاح والانغلاق وفي التفصيل والتكثيف (الوصف) في الاتساق والتنافر (وقعه علي الشخصيات وأثره) في تداخل والتقاطع، وإجمالا فان موضوع الإيقاع يدخل طرفا في الصراع ينفي المقولات الثنائية الشائعة حول الشكل والمضمون، المسند والمُسند إليه، اللغة العادية واللغة الشعرية ويربطنا بظاهرة تداخل الأنواع الأدبية وتداخل الفنون اللغوية وغير اللغوية كما يبرز دور الإيقاع كأداة إجرائية حيوية ضمن نسق من الأدوات والمقولات النظرية في اكتسابنا لمهارة إنجاز قراءات نقدية حساسة تستهدف البحث في المحتوى الجمالي والاجتماعي للشكل الأدبي وغايتها البعيدة في تحليل محتوى شكل الرواية الجزائرية المعاصرة ولهذا سنحاول أن نجسد إيقاع المكان في رواية العشق المقدنس لعز دين جلاوجي أنموذجا.

حيث شكل إيقاع المكان، أبرز إيقاعاتها المتنوعة إذ جسد هذا الإيقاع إطار الأحداث وكذا تحولات الشخصيات مع ما يرافقها من إيقاعات أخرى ترتبط بعمق بالإيقاع الأبرز كما هو الحال في إيقاع المكان في (العشق المقدنس).

وهذا يعني "أن كل رواية تقوم على إيقاعات مختلفة كإيقاع الأحداث أو إيقاع الشخصيات أو إيقاع الأزمنة إلى غير ذلك، ولكن واحد من هذه الإيقاعات يكون في العادة هو الأبرز ويشكل الإيقاع الرئيس فيها ترافقه إيقاعات أخرى، كإيقاع الزمان والمكان والمواقف والأفكار والشخصيات، وهي إيقاعات هامة ورئيسية أيضا، ولكنها تظل منغلقة بإيقاع الأحداث الأكثر أهمية والأكثر حضورا في عالم الرواية".

3.2 . الإيقاع في رواية العشق المقدس

في هذه الرواية، أخذ الإيقاع الزماني و المكاني تغيرات منسجمة مع سيرورة الأحداث، إذ يمكن التلميح إلى وجود مزايا خاصة بالزمان و المكان في بداية الرواية ، تتغير إيقاعيا مع نهايتها :

أ. الإيقاع الزماني و المكاني في بداية الرواية

في رواية "العشق المقدس" يتحرك الراوي، أو البطل عبر الأمكنة الثلاث والتي شكلت الإيقاع الرئيس والأكثر حضورا فيها، فحركة الراوي أو البطل وحيثيته هبة تنحصر في ثلاث أماكن لرئيسية وهي :

-المكان الأول : (الجزائر المحروسة)

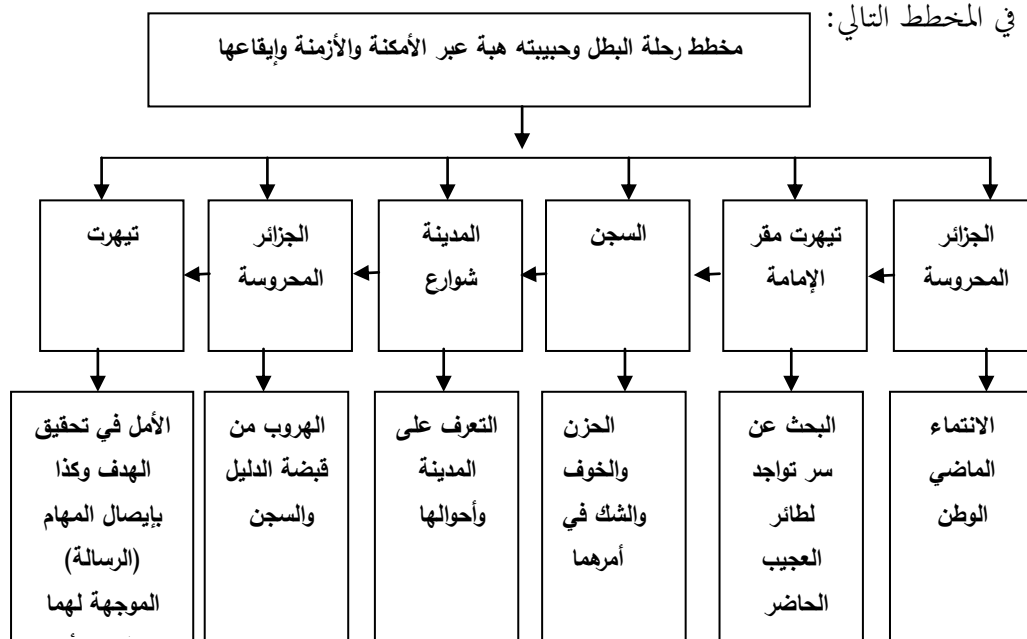
-المكان الثاني : (مدينة تيهرت)

-المكان الثالث : (مكتبة المعصومة)

فحركة البطل وحيثيته هبة من العاصمة (المحروسة) ،حتى وإن لم تنشر الرواية علنا هذا فإنها تبدو كذلك وذلك من خلال الانطلاقة التي انطلق منها الروائي عز الدين جلاوجي روايته منطلقين من (الجزائر المحروسة) متجهين إلى (تيهert) في شكل رحلة يقودانها بحثا عن الطائر العجيب ،سر سعادتهما فهو يمثل محقق الأحلام وكذا العدل والأمان الذي يعم البلاد من خلال ما تعيشه من أوضاع مزرية .

فتمثلت حركة الرحلة في شكل خط سير منتظم من مدينة (المحروسة الجزائر العاصمة)، حيث جاءت في شكل حركة منتظمة ومكررة. ولكن هذه الحركة الموقعة والمنتظمة والمكررة تتغير دوافعها وأسبابها بتغير عالم الشخصية الداخلي ووضعها وزمانها

الجديد وهذا ما يمكن تجسيده في المخطط التالي:



فحركة كل من البطل وحببته هبة ، من الجزائر المحروسة متجهين إلى مدينة تيهرت نجد أنها اقتضت ظروف وأهداف كانا يسعيان إليهما. فإذا أردنا أن نجسد إيقاع المكان والزمان هنا يتجسد إن من خلال رصد حركة البطل وحببته هبة عبر هذه الأمكنة التي تتغير معانيها ودلالاتها بتغير الهدف من السفر نحوها، فالجزائر المحروسة كانت تمثل الموطن الأصلي لكل من البطل وحببته هبة، أي المكان الطبيعي لهما بعدها يقرر السفر في رحلة متجهين إلى مدينة تيهرت بحثا عن ضالتهما، حيث شكلت تيهرت في الرواية دورين :

. الدور الأول : والذي يتمثل في المكان الآمن والوحيد الذي يستطيعان أن يحققا فيه حلمهما (بوجود الطائر العجيب).

. الدور الثاني : والذي يتمثل في النزعات والحروب والأحزاب المتطرفة التي تعيشها البلاد، ليقرر الفرار منها بعد اتهامها بالتحسس.

وبهذا يتغير واقع المكان "تيهت"، بالنسبة لكل من البطل وهبة، لتصبح بعدها مكانا للحزن والألم والخوف ليستقر بهما الأمر أن يرحلا ويعودا إلى الوطن الأم (الجزائر المحروسة). إلا أنهما لم ينجوا من قبضة الأمير ليتحولوا بعدها إلى السجن ولكن هذا لم يمنع من حظهما في نيل فرصة الفرار من قبضة الدليل بعد مرافقة لهما للتعرف على المدينة وعن الأعمال الخالدة لا أمراءها وملوكها وأجدادها.

ليتغير بعدها وقع العالم الخارجي لكل منهما بعدما شهدت أعينهم الأمكنة الراقية والمميزة المتواجدة في المدينة ولاسيما مكتبة (المعصومة)، ليقرر بعدها الهروب والعودة إلى الجزائر المحروسة، خوفا من خطورة المكان. فإلى جانب أنها تيهت جعلت من المكان "شخصية" فإنها حولت المكان إلى دلالة و نجحت مرة أخرى في تحويل المكان الجامد إلى مدرك حسي نفسي ، حيث بهذا نشأت ما يسمى بجمالية المكان لأن شعرية المكان في الرواية و التي تعتبر تقنية مساهمة في تكوين عنصر الإيقاع، إذ وصف أنه "موضوع جمالي، يعني أنه يكتسب أبعادا رمزية... ولأنّ الأماكن الروائية تقترب بأحاسيس حارة تغمر نفسيات الأبطال".

ولذلك نجد قرار كل من البطل وحببته هنا ، يختلف عن قرارهما الأول الذي كان من أجل البحث عن سر حقيقة الطائر العجيب مصدر سعادتهما هذه المرة الهروب والخوف من السجن وقبضة الأمير. وبهذا يتغير الدافع بتغير الهدف ، تغير الفاعل وتغيرت ردة الفعل ليتفاجأ بعدها كل من البطل وحببته هبة أثناء عودتهما للمحروسة بوجود الدافع للهروب، الفاعل والسبب في ابتعادهما عن المكان عند ذلك يتغير الوقع وينكسر إيقاع المكان ، يتغير الظرف الخارجي ويتغير الزمان وكذلك لاستجابة العالم الداخلي للشخصية لهذا الوضع الجديد الذي يفرض إيقاعا مكانيا جديدا وذلك من خلال الأمر الذي وجهه الأمير عبد الله والمتمثل في الجوسسة على دولة الخوارج لكل من البط وحببته هبة.

"...الجميع قضى بشنقكما جراء ما فعلتما، إن الهروب من أمير المؤمنين هروب من الله لكنني عفوت عنكما ... وسكت ينتظر ردنا، ولم نفعل شيئا سوى أن لزمنا الصمت أيضا واصل:

-أريدكما رسولي إلى دولة الخوارج، جاسوسين عليهما لن بهذا لي بال حتى أيدهم عن بكرة أبيهم أنقذ المسلمين من شرورهم وظلالهم وأخرج من درج مكتبة رسالة ملفوفة فك رباطها وقرأها...."

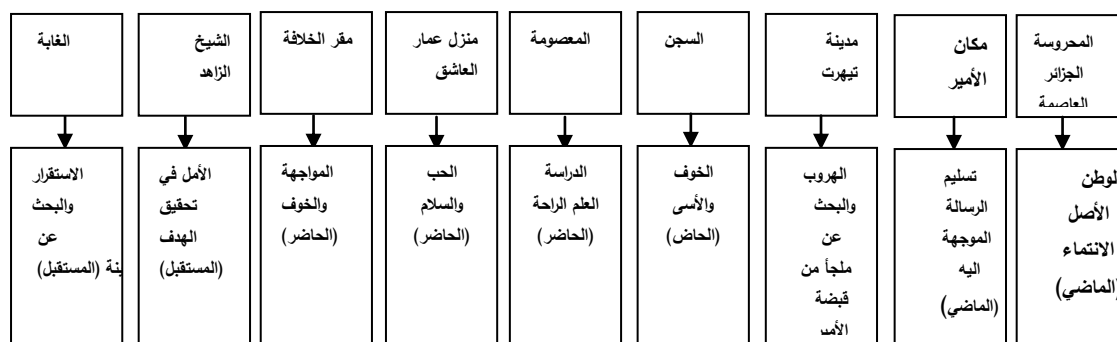
كما نجد أن الروائي عز الدين جلاوجي حاول أن يرصد في روايته هذه الحركة لكل من البطل وحبيبته هبة بشكل منتظم وموقع، الأمر الذي يجعل البناء الفني لروايته محكما ومبررا ومقنعا فلا مكان ولا زمان في مدينة تيهرت، لهما دورهما الفني في معمار القصة وبنائها وحتى في توازنها، "كما أن لهما دورهما في فلسفتها ومضمونها وأبعادها".

ولهذا يتحرك كل من البطل وحبيبته هبة، من المكان الأول وهو مدينة "الجزائر المحروسة"، وكلهما أمل ويقين في تحقيق الحلم، أول مرة لكنهما يغادرانه في المرة الثانية وهما مثقلان بالأسى والألم والخوف بعد المهمة التي أوكلت لهما. ولهذا كانت المحروسة في المرة الأولى مكانا يلجأ إليه البطل وهبة، من هول ما تعشه تيهرت، لتصبح في المرة الثانية مكانا يتم فيه القبض عليهما ومصدر شبهة. كما كانت تيهرت مكانا للحروب والاختلافات الحزبية والطائفية لتتحول بعدها مكان علم وتجمع راقي، ومميز كما يوضح المخطط السابق، وكذا أملا في تحقيق الحلم.

ب. الإيقاع الزمني و المكاني في نهاية الرواية

لم تتوقف حركة البطل وحبيبته هبة على هذه الأمكنة والأزمنة فقط بل تجاوزت ذلك إلى أمكنة وأزمنة أخرى وبوقع أكثر فنية ومعمارية ويظهر ذلك في المخطط التالي:

مخطط الإيقاع الزمني و المكاني في نهاية رواية العشق المقدس



أما إيقاع المكان والزمان، الذي يشكله هذا المخطط الثاني لحركة كل من البطل وحبيبته هبة، فقد جاء أيضا أكثر دقة وتنظيم، إذ وظف الروائي ربما للمكان في الرواية، على المستوى الصعيدي الفني والبنائي المضموني الفكري.

فرحلة البطل وهبة، من المحروسة إلى تيهرت وتحديدًا مناطقها وأمكنثها الراقية والأصلية نجدها رسمت خيوط نسجها وبنائها كحضارة وكدولة، وما آلت إليه الآن من اختلاف عربي وحزبي وحتى طائفي. فالروائي عز الدين جلاوجي بهذا نجده يحاول أن يدرس قضية تجاوزت إلى أن أصبحت قضية أمة إسلامية جمعاء وذلك لما يعانيه هذا الوطن العربي من اختلاف جنسي وعربي وحزبي متجاوزا قضية الوطن العشرية السوداء إلى قضية أكبر ه قضية أمة.

ولهذا نجد كل من البطل وحبيبته هبة يضطران إلى تجاوز هذه المحن بعد التعرف عليها وعلى أسبابها وكذا البحث عن نتائجها للوصول إلى الحقيقة أو الأمل في تحقيق السعادة (الطائر العجيب).

فالرحلة التي خاضها كل من البطلين جسدت لنا البناء الفكري والوعي الذي تعيشه منطقة تيهرت كدولة إسلامية، ودولة رستمية حاملة لمذهب شتى. لكن هذه الأمكنة التي تم التجوال فيها والكشف عن حقائقها نجد مدلولها يتغير ورموزها تتغير بتغير العالم الخارجي الذي يغير بدوره عالم البطل وحبيبته هبة الداخلي. فرحلة البطل وحبيبته هبة من المحروسة الجزائرية إلى تيهرت

إلى الانتقال إلى السجن وصولاً إلى شوارع وأماكن المدينة وبالتحديد مكتبة المعصومة ، وهي أيضا لها دوافعها ومسبباتها وظروفها ،وبداية الرحلة الشاقة من مدينة تيهرت تحديدا عند الشك في أمرها .

يقرر كل من الشخصين خوض غمار المعركة والخطر في شكل تجسيد للفلسفة العميقة بالإنسان والوجود وهذه الثقافة الواسعة بالفكر الإنساني وأدبه وفنونه قد أوصلتها إلى حافة الإحساس والشعور في البحث عن سبب هذه التناقضات والصراعات التي تعيشها البلاد (مدينة تيهرت) .حيث نجد هاتين مثلًا بشكل أو بآخر فلسفة متنوعة بمختلف أشكالها وتناقضاتها : مرة في شكل جاسوسين ومرة في شكل رسولي ،ومرة في شكل طلبة علم ومثقفين .

وحينا آخر ف شكل سخرية لما تعيشه البلاد والعباد لا يثقان بأحد إلا بالعميد وعمار العاشق. وهذا الوضع الذي يعيشه كل من البطل وهبة، يبقى مرهونا حسب اللحظة الشعورية أو الانفعالية التي تداهما فنجد هاتين مؤمنين متمردين على الوضع والمحاولة في الوصول إلى تحقيق الهدف وحينا العكس

وبهذا نجد البطل وحببته هبة ينتقلان عبر هذه الأمكنة السالفة الذكر ،ما بين المحروسة تيهرت إلى المعصومة ،والتي شكلت أزمته الثلاث والمتكررة بشكل منتظم .الحلم يبدأ من تيهرت ويعيشان المغامرة في شوارعها وإحيائها وهي التي تكثيف زيارتهم للمكتبة المعصومة ،وكذا منزل عمار العاشق ،وبهذا تصبح تيهرت في أحيانا كثيرة مكانا للأمل في تحقيق الهدف.

4. خاتمة

ونستنتج أخيرا وليس آخرا، أن إيقاع المكان في رواية العشق المقدنس لعز الدين جلاوجي ،جاء مليئا بالحركة والحيوية حيث تحقق فيها شروط الإيقاع الروائي للمكان من حيث الوصف الممزوج بين الدلالة الجمالية للمكان خاصة وهو يصف الزمن الذي ينتمي إليه عالم الرواية، زمن الحكم الأموي واختلافهم مع الخوارج وبين الوظيفة الفنية التي تحقق من خلالها شروط الإيقاع في عالم الرواية من حركة وأثر خاصة على عالم الشخصية ولاسيما الحدث في تطويره عبر مسارها السردي. إذ حقق بدوره ديناميكية جديدة الطرح على عالم السرد الروائي.

قائمة المراجع:

1. عز الدين جلاوي العشق المقدنس، دار الروائع، سطيف ط 1 سنة 2014
2. أحمد حمد الزغبى في الإيقاع الروائي، نحو منهج جديد في الدراسة البنية الروائية، دار المناهل للطباعة و النشر و التوزيع ط 1 سنة 1995.
3. محمد عبد الله القواسم، البنية الروائية العربية في رواية الأخدود (مدن الملح) لعبد الرحمن منيف، مكتبة المجتمع العربي للنشر و توزيع ط 1 ، سنة 2000.
4. سد البحراوي العروض و إيقاع الشعر العربي سلسلة دراسات أدبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة سنة 1993.
5. نعيم عطية، الإيقاع الروائي، عند البيرس، مجلة المجلة العدد 172 مايو سنة 1971
6. محمد صابر عبيد، القصيدة العربية بين البنية الدلالية و البنية الإيقاعية جامعة تكريت العراق د.ت.
7. مجموعة نقاد القصة، الرواية، المؤلف، دراسات في نظرية الأنواع الأدبية المعاصرة، ترجمة وتقديم خيرى دومة، مراجعة سيد البحراوي، دراسة الشريقات القاهرة سنة 1997.
8. ارين اودامن، الفنون والإنسان ترجمة مصطفى حبيب، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة سنة 2001 ' د ط.
9. سيد البحراوي، العروض و إيقاع الشعر العربي، سلسلة دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة 1993.
10. فولفغانغ كايزر، العمل الفني الغوي، مدخل إلى علم الأدب ترجمة، وتقديم د أبو العيد دودو ، د ط ، سنة 2012 م.
11. عبد الحميد حمودي، المكان كنص مفتوح، البحرين الثقافية، العدد 13
12. شهرزاد حرز الله، الفن الروائي عند أحلام مستغانمي، دار الغرب للنشر والتوزيع، دط، دت